

دراسة تحليلية نقدية للغة – عبد الله شريط أنموذجا –

A critical analytical study of language - Abdullah Bar as a model

مروة حرفوش -المركز الجامعي نورالبشير- البيض- الجزائر

cilinamarry@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/07/11

تاريخ القبول: 2022/11/18

تاريخ الاستلام: 2022/08/07

ملخص:

تعد العلوم الإنسانية و الاجتماعية من أهم الإستراتيجيات الفعالة و الفاعلة في النهوض بالمجتمع ، وتحريك عجلة نموه ، وازدهاره لما لها من أهمية في تنشئة أجيال مشبعة بأفكار التقدم والرفي ، وهنا تحضر الفلسفة لتؤطر هذا الفعل ، من خلال تناولها لقضايا و إشكاليات ، إذ تعتبر اللغة من الإشكاليات الفلسفية المعاصرة ، التي يمكن أن نقف عندها بالتحليل ، و هنا ندقق على اللغة العربية باعتبارها المقوم الأساسي لهوية الإنسان الجزائري ، والتي تعكس دينه ، وثقافته ، وعاداته وتقاليدته ، بل وتبرز ذاته وهويته –عبد الله شريط- مفكر جزائري تناول هذه القضية بالبحث و الدراسة ، مفتشا عن أسباب ركودها ، وسبل النهوض بها وتطويرها ، من خلال رؤية استشرافية تواكب سيرورة التحول الاجتماعي في الجزائر ، خاصة بعد التواجد الكولونيالي ، وما تعرض له الإنسان الجزائري من محاولات الطمس و التشويه ، وهنا تحضر الفلسفة كرؤية استشرافية وكعقل فاحص ناقد ، لأن البناء لا يكون إلا من خلال الهدم .

الكلمات المفتاحية : لغة عربية ، عروبة ، ثقافة ، هوية .

Abstract: The humanities and social sciences are the most effective and important strategies for advancing society and moving the wheel of its growth and prosperity because of its importance in educating generations imbued with ideas of progress and progress and here philosophy is ready to frame this work by addressing questions and problems, because language is considered one of the contemporary philosophical problems, so we can stick to the analysis and here checks the Arabic language as the main component of the identity of the Algerian, which reflects his religion, his culture, his customs and his traditions, and even

highlights himself and his identity -- Abdullah Cheriet -- an Algerian thinker who has addressed this issue with research and study by examining the causes of its stagnation and the means of advances and developing it through a prospective vision that follows the pace of social transformation in Algeria Su rtout after the colonial presence and the attempts to erase and deform the Algerian human being and here philosophy is present as a prospective vision and as an examining and critical spirit because construction only passes through demolition.

Keywords: Arabic language, Arabness, Culture, Identity.

المقدمة:

إن الثورة التي خاضها الشعب الجزائري ، وضحي من أجلها بكل غال و نفيس لنيل استقلاله و حريته ، و استرداد كرامته كللت بالنجاح ، لكنه ما فتئ أن وجد نفسه يعتري ثورة لكنها من نوع آخر ، و هي معركة المفاهيم ، و الانتماء الثقافي ، صراع التعريب والتغريب ، فكان ظهور لمفكرين جزائريين ، أرادوا تطهير المجتمع الجزائري من برائين و مخلفات الاستعمار ، و كان سلاحهم في ذلك القلم ، و الفكر الحيوي المبني على إستراتيجية فحص ، وتحليل ، ومعالجة الواقع الاجتماعي الجزائري ، و مما لاشك فيه أن "عبد الله شريط" يعد من أعلام الفكر الجزائري الذي تعددت جوانبه الفكرية ، فكان لقضية اللغة و التعريب مساحة شاسعة في فكره ، من هنا نتساءل : ما موقع اللغة العربية في الفكر الشريطي ؟ ما التحديات التي واجهت اللغة العربية بعد الاستقلال في ظل تصاعد التغريب ؟ فيما تتمثل أهم الحلول المقترحة من طرفه للخروج من الأزمة ؟

1- بين اللغة والهوية في فكر عبد الله شريط :

أ- في مفهوم اللغة :

ترجع كلمة اللغة في العربية إلى المادة أو الجذر "لغو" أو "لغي" وهو جذر يدور حول معاني الرمي و الطرح و الإلقاء وهذه المعاني ظلت مقترنة بهذا الجذر في تصاريف المادة ، وحملت معاني الصرف و ما يتصل بها ظلالا ، فيها الزهد بالشيء ، وعدم أهميته و كونه منبوذا ، ذلك أن ما يرمى أو يطرح يكون كذلك (سيده، 2004، الصفحات 416-423) ، وقد استعمل العرب كلمة لغة و كلمة لغات للدلالة على

اللهجات التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية ، و ترتبط كل منها بقبيلة ، أو مجموعة قبائل تعيش في حيز جغرافي ، وقد تنسب اللغة إلى القبيلة لا إلى المكان ، فكانوا يقولون : لغة أهل الحجاز ، و لغة أهل اليمن أو لغة بني تميم ، غير أن القرآن الكريم لم يستخدم "لغة" إنما استبدل بها لفظ "اللسان" ، هذا ما تشير إليه المعاجم ، أما اللغويون و النحويون فقد عرفوها بأنها "ذلك النسق من الإشارات والأصوات والرموز التي يعبر بها القوم عن أغراضهم".

أما من الناحية العلمية و الفلسفية فهي وسيلة لتلقي المعرفة مشافهة أو كتابة ، يقول "هايير": "إن اللغة تتحكم كثيرا بأفكارنا المتعلقة بالمسائل الاجتماعية ، ومن الخطأ تصور أن الإنسان يتكيف مع واقعه دون استخدام اللغة ، أو أن اللغة مجرد وسيلة لحل مشاكل الاتصال و التفكير ، إن العالم اليوم مبني بطريقة لا واعية على أساس عادات الناس اللغوية ، و على أساس استعمالاتهم للغتهم "الأم" (بركة، 2002) بمعنى أن اللغة هي التي تجسد العلاقة بين الفرد و المجتمع الذي ينتهي إليه ، بل إنها المرأة العاكسة لما يحمله الأفراد والمجتمعات من أفكار و معارف ورؤى .

بينما عبد الله شريط (1921 - 2010) فهو يرى " أن اللغة لا بد لها من مجتمع ، و المجتمع لا بد له من لغة يعيش كل منهما من الآخر و يتغذى منه و يتفاعل معه و يكسب منه القوة على البقاء و التطور" (شريط، معركة المفاهيم، 1981، صفحة 153) يفهم من قوله أن اللغة هي ظاهرة اجتماعية ، فاللغة تحتوي المجتمع وما يحمله من أفكار و معارف ، وعادات وتقاليد ونواميس ، كما أن اللغة لا يمكن أن تظهر للوجود أو تتطور إلا داخل أطر المجتمع ، فيأخذ كل منهما الدعم من الآخر ، ليحافظ على بقائه ، مما يساعد على تطوره و رقيه .

ب- في مفهوم الهوية :

ننتقل الآن إلى مفهوم الهوية : إذ تعد الهوية كلمة تتمحور حقيقتها حول الذات و الحقيقة والماهية ، و تعتبر هذه المرادفات قادمة من الفلسفة كفكر و معرفة ، و هي لغويا من قبيل المصدر الصناعي ، فقد تم توليدها من النسبة إلى "هو" أو "الهو" ، الذي هو في اصطلاح الفلاسفة الغيب أو الحقيقة المطلقة ، أو الله ، ثم أصبحت تطلق على حقيقة الشيء ، حقيقة الإنسان أو غيره (الجابري،

1986، صفحة 821)، و للهوية تعريفات متعددة عند الفلاسفة إلا أنها تصب جميعا في معنى الحقيقة والماهية و الذات .

وقد تكون الهوية جزئية يسيرة خاصة بشيء ، أو إنسان بعينه ، و قد تكون كلية مركبة خاصة بجماعة ، أو شعب أو أمة ، لكنها في صورتها الأولى بسيطة ، لكن كلما اتسعت الهوية لتشمل أفرادا أكثر كانت أكثر تعقيدا وتشابكا وتركيبا ، فهوية الإنسان يرسمها و يحدد شكلها ما يرد إليه من الخارج أي من المجتمع ، فتحمل بذلك ملامحه ، و تعكس صور وسطه الاجتماعي الذي يراه و يتعامل معه ، بالإضافة إلى تأثيرها بتاريخ الجماعة ، وما يحمله هذا التاريخ من علوم و معارف .

هذا فيما يخص مفهوم اللغة و الهوية بإيجاز، لننتقل بعد ذلك إلى العلاقة القائمة بينهما ، فالدراسات اللغوية والسوسولوجية ، و الأبحاث الفلسفية تؤكد على العلاقة الوطيدة بينهما على اعتبار اللغة أقدم تجليات الهوية ، فاللغة هي صانعة الهويات ، لأن اللسان الواحد هو الذي جعل من كل فئة من الناس جماعة واحدة ذات هوية مستقلة و متميزة ، و هذا يعني أن اللغة و الهوية يتقاطعان في أنهما من المقومات الأولية و الأساسية للمجتمع من الناحية الثقافية و العلمية ، لما لهما من دور مشترك في صناعة الفرد و تشكيله حضاريا ، رغم تعدد التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الهوية إلا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة ، وفي التاريخ شواهد على ذلك ، فالشعوب الغابرة اعتبروها قضية وجودية وحافظوا عليها لأنها الضامن لمستقبلهم الحضاري ، ومن الأدلة الواقعية التي تثبت التلاحم و الترابط بين اللغة و الهوية ، و أن اللغة تعد من وسائل النهوض بالمجتمعات ، ما حدث لليابان عام 1945 عندما هزمت هزيمة نكراء ، وجاءت لتوقيع وثيقة الاستسلام مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فإنها وقعت على جميع البنود إلا بندا واحدا اعترضت عليه وبشدة ، و هو استبدال اللغة اليابانية باللغة الإنجليزية الأمريكية ، فقد حافظوا على لغتهم وراحوا يطورون علومهم و معارفهم حتى وصلوا إلى التقدم العلمي و التكنولوجي ، و هذا ما يؤكد عليه "ابن خلدون" في قوله : " إن قوة اللغة في أمة ما تعني استمرارية هذه الأمة بأخذ دورها بين بقية الأمم لأن غلبة اللغة بغلبة أهلها ، و منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم " . (شريط، نظرية حول سياسة التعليم و التعريب الأعمال الكاملة، 2009، صفحة 189)

وفي نفس المنحى يتجه المفكر الجزائري "عبد الله شريط" حيث نجده ربط بين الهوية و اللغة ، لأن الشعور بالعروبة لدى الإنسان الجزائري النابعة من تشبته باللغة العربية ساهم إسهاما كبيرا في نجاح

ثورته ضد المستعمر الفرنسي ، وفي هذا قال : " إن الثقافة الشعبية لا تحقق بواسطة اللغة الأجنبية بل بواسطة لغة الشعب نفسه ، ومقاومة الأمية في هذا الشعب ، التي هي الخطوة الأولى للثقافة الشعبية لا تتم بواسطة اللغة الأجنبية بل بواسطة اللغة العربية التي هي لغة الثقافة (...) ، إن لغة الثقافة من حيث المستوى الثقافي ، و اللغة الوطنية من حيث الشمول الجغرافي هي اللغة العربية " (شريط، نظرية حول سياسة التعليم و التعريب الأعمال الكاملة، 2009، صفحة 10)

وحقا قد لعبت لغة المجتمع الجزائري دوراً كبير في الحفاظ على هويته الثقافية ، وعلى وجوده خلال قرن واثني وثلاثون سنة من الاحتلال الفرنسي، لأن اللغة هي وسيلة تحفظ و تنقل بها ميراث الأفراد و الجماعات ، وتعمل على تثبيت هويات المجتمعات.

2- اللغة والثقافة في فكر عبد الله شريط :

لقد اهتم عبد الله شريط بتحليل مشكلة الثقافة و نقدها مشرحا لعلل تطورها و العوامل التي تؤدي إلى انحدارها و كذا علاقتها باللغة العربية ، قبل الحديث عن علاقة اللغة بالثقافة في الفكر الشريطي لابد أن نعرف الثقافة ، و التي تعددت دلالاتها ومعانيها حسب كل مفكر ، لذا لا يمكن أن نجد لها تعريفا جامعاً مانعاً ، وسنقتصر على تعريف "ألتوسير" فقد عرفها قائلاً : " بأنها إيديولوجيا النخبة أو إيديولوجية مجتمع معين ، إن هذه العملية ذات طابع هيمني و تتمثل في إرضاخ الطبقات الشعبية عن طريقها في أشكال التطور و الترسخ الثقافي عن طريق التعليم فالإيديولوجيا المهيمنة هي دائما المفروضة" ، فهنا نجده يربط بين الأيديولوجيا و الثقافة ، حيث تتجسد في أفعال و سلوكيات تعكس ذلك النمط من التفكير ، (ألتوسير، 1986، صفحة 48) فمثلا الأيديولوجية الأمريكية التي تحملها الثقافة و اللغة الأمريكية ، ينعكس وجودها و سيطرتها من خلال تبني أغلب الدول خاصة في منطقة الخليج مناهج التعليم الأمريكية ، و لغتها الإنجليزية ، و امتد هذا حتى لدول المغرب العربي ، ولكن ليس بنفس القوة في دول الخليج .

أما إذا انتقلنا إلى المفكر الجزائري "عبد الله شريط" فنجد أنه يعرف الثقافة على النحو التالي :
"الثقافة بأوسع معانيها المدارس و الكتب و الصحف و المحاضرات ، و العادات و التقاليد ، و مفاهيمنا للسياسة و الاقتصاد و الأخلاق " و كأنه أراد القول أن الثقافة تنعكس في مجالات عدة ، وهذه المجالات في

حد ذاتها تحمل فكرا ، يكتسبه الإنسان من محيطه الاجتماعي ، فالثقافة لا يشكلها الفرد لوحده بل تتصافر فيها جهود المجتمع برمته بطبقاته و أطيافه ، ولا تمس جانبا واحدا بل تمس جميع جوانب حياة الإنسان ، فأى عطب أو خلل في أحد مستوياتها يؤدي حسبه إلى مشاكل تنعكس آثارها على المجتمع ، وقد صرح بهذا في نص له : "النتيجة التي خرجت بها من تفكيري هي أن مشاكلنا و عيوبنا التي تفضحها بدون شفقة مردها إلى مشكلة الثقافة " (شريط، معركة المفاهيم، 1981، الصفحات 277 -278) وهذا القول ينطبق على المجتمع الجزائري لأنه عايش وعاصر الحقبة الاستعمارية و حقبة الاستقلال التي شهدت العديد من محاولات الإصلاح .

ثم بعد ذلك راح يشرح و يحلل في أسباب التخلف الثقافي في الجزائر ، حيث رد السبب الأول إلى إهمال الإنسان ، فالإنسان الجزائري عاش فترات في تاريخه ، فترة الاستعمار التي كان فيها مهماشا ، وكان يسعى دائما لتحقيق كرامته التي عمل المستعمر الغاشم على حطها في كل الأوقات ، وفي كل المناسبات ، ثم تأتي فترة الثورة التحريرية هنالك حظي الإنسان الجزائري بمكانة عظي لأنه تم التسليم بأنه الوسيلة و الغاية في حد ذاته ، وسيلة لنيل الاستقلال ، و غاية لاسترجاع حريته المسلوبة ، فهو بهذا العقل المفكر و المسيطر على الوسائل المادية وهنا يصرح مفكرنا قائلا : "لقد كان عندنا مبدأ عملنا له في حرب التحرير دون أن نفلسفه ، و هو أن نجند الرجال أو نقبل المتطوعين في جيش التحرير على شرط أن يسلم الرجل نفسه بنفسه من عتائد العدو وفلسفة هذا المبدأ تعني أننا نعتمد على الإنسان قبل الاعتماد على السلاح، و نؤمن بأن الجندي هو الذي يخلق السلاح ، وليس السلاح الذي يخلق الجندي " (شريط، نظرية حول سياسة التعليم و التعريب الأعمال الكاملة، 2009) لتلهمها حقبة الاستقلال التي فيها فقد مكانته واستبدلها بالمادة التي كان يتحكم فيها سابقا ، و أصبح السلاح أهم من الجندي ، ثم تطورنا و أصبح الإنسان الذي يدير الآلة أفضل من الإنسان الذي يكون البشر ، و الإصلاح هنا ارتكز على الجانب المادي و أهمل الجانب الفكري .

إن الاهتمام بالجانب المادي دون الجانب الفكري ولد لنا مشكلا تمثل في الاختلاف حول اللغة بين المثقفين أنفسهم فانقسموا إلى فريقين و في هذا النص تصرّح من طرف "عبد الله شريط" على هذا التشرذم بين النخب الفكرية قائلا : "إن لنا فئتين من المثقفين : فئة عربية اللغة ، وفئة فرنسية اللغة وقليل من ثقافة مزدوجة ، وإذا كانت الفئة الثانية قد ارتبطت بمجتمعها من حيث العاطفة و الشعور ومحتوى الإنتاج فإنها منقطعة من حيث أداة التبليغ إلى هذا المجتمع : مولود فرعون ، وكاتب ياسين

ومولود معمري ، وملك حداد ، يتحدثون في رواياتهم كلها عن الشعب ، و عن الطبقة الكادحة بصورة أخص ، يصورون حرمانها و أميتها ، ولكن هذه الطبقة بالذات لا تعرف شيئا مما كتبوا ، و بالتالي فهؤلاء الكتاب معروفون في الخارج أكثر مما هم معروفون في بلادهم ، و أما الفئة العربية الثقافة فهي تحمل نفس العاطفة بنفس هذه الفئة الاجتماعية الأمية المحرومة ، و لكنها ليست أكثر اتصالا بها من حيث أداة التبليغ من الفئة الفرنسية" (شريط، مشكلة اللغة و المجتمع، 1973-1974) ، بمعنى أن اللغة هنا فقدت حيويتها و دورها الفعال نتيجة الانشقاق بين المثقفين ، و لوجود لغتين لغة الهوية المتمثلة في اللغة العربية ، و اللغة التي خلفها الإستعمار الفرنسي ممثلة في اللغة الفرنسية ، ما أدى إلى وجود لغة هجينة بين العربية و الفرنسية ، فتشت الشعب بين فئة ناطقة بالعربية ، و فئة ناطقة بالفرنسية ، و فشلت كلتا الفئتين في الوصول إلى الشعب و التواصل معه لتشاركه حل مشاكله ، ولم يفلحا في فهمه و التعبير عن قضاياه ، ما أدى إلى انقطاعهم عن الشعب ، و بالتالي عدم استفادة مجتمعهم من ثقافتهم ، ولم ينل نصيبا من ثقافتهم سواء كان نصيبا قليلا أو كثيرا .

يتضح من خلال ما أقر به "عبد الله شريط " أن الثقافة لا تنفك عن اللغة ، بل إنها أحد أهم مكوناتها ، و ركائزها الأساسية ، فهي التي تسهم في رقيها و تطورها ، أو العكس في انهيارها و تدني مستواها ، كما أن اللغة هي عامل من عوامل التي تشكل هوية المجتمع ، و الحفاظ على اللغة الأصلية أي اللغة الأم يحفظ لنا بالضرورة المجتمع لأنها الحلقة الرابطة بين المثقف والطبقة الشعبية ، أما السماح بطغيان لغة دخيلة فإن هذا يهدد كيائها و ينجم عنه تخلف في جميع المجالات و الميادين .

3-اللغة العربية بين التعريب و التغريب :

لقد تعرضت اللغة العربية في الجزائر أثناء التواجد الكولونيالي لهجوم شرس من طرفه ، بهدف القضاء عليها نهائيا ، و إحلال اللغة الفرنسية محلها ومنعها بصفة مطلقة خاصة في المجال الرسمي ، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد ، بل ولد تيارين في الساحة الفكرية و الفلسفية دعاة التعريب وهم الذين حملوا لواء الدفاع عن اللغة العربية ، و في النقيض تيار تغريبي أخذ على عاتقه الدفاع عن اللغة الفرنسية .

إن قضية التعريب بدأت إبان الاستقلال كقضية عملية حيث أثيرت في المجلس التأسيسي سنة 1962 عندما طرح أحد النواب السؤال عن اللغة التي يتم بها التعليم ، فأجابته النائب "آيت عمران" قائلا : "إن التعليم المقدم بسخاء هو باللغة الفرنسية أبناءنا تلقى أغلبيتهم الفرنسية ، هذا المشكل هام جدا وخطير لا يجب معالجته بسطحية " (العلوي، دون سنة نشر، صفحة 185) ، فهذه قضية ليست بالهينة ولا تنتهي بإلقاء محاضرات و عقد ندوات ، بل إنها تحتاج إلى جدية في الطرح و حلول معمقة جذرية .

ففترة الستينات إلى غاية السبعينات اتسمت بالتعليم المزدوج أثناء حكم الرئيس بن بلة رحمه الله ، و استمر الحال أيضا أثناء حكم الرئيس الراحل هواري بومدين رحمه الله وهكذا إلى غاية سنة 1976 ، في هذه الفترة ولدت المدرسة الجزائرية وانتعشت باستعادة لغتها ، و جزارة قوانينها ، و إلغاء العمل بالفرنسية ، ومس التعريب جميع الأطوار التعليمية ، وبدأت اللغة العربية في استعادة مكانتها المغتصبة إلى غاية سنة 1977 أين تولى "مصطفى الأشرف" (1917 - 2007) وزيرا للتربية و التعليم بدأ معه التعريب في التراجع بشكل رهيب ، حيث أعاد فتح شعب مفرنسة ، و حول الأقسام المعربة إلى مفرنسة ، و قام بعزل عدد كبير من الإطارات التي تدافع عن التعريب من الوزارة .

في هذه الفترة خرجت قضية التعريب إلى الساحة الفكرية ، و صار نقاشا معلنا من طرف النخب الفكرية الجزائرية في الجرائد ، والمجلات من خلال نشر المقالات ، حين صرح الأشرف بجمل و عبارات ضمنها في مقالات نشرها بالفرنسية في جريدة المجاهد اليومية يحط فيها من قيمة المعربين وصفهم فيها بأنهم "حفارو قبور" "القانعين بالحثالة" و "ذوو المعرفة التقريبية" كما و صرح في نص له قائلا فيه : " المتسرعين إلى التعريب حيث تدفعهم الرغبة المكبوتة في استكمال شخصية الإنسان باستعمال لغته ، وهذه الأمنية هي التي جعلتهم يتخذون مواقف تتميز بالعجلة و الاضطراب و الارتجال " (الأشرف، 1981، صفحة 14) ، هذا التصريح أدى إلى زوبعة في الأوساط الفكرية لترد على هذه الإدعاءات من خلال تعقيبات ، فكان لمفكرنا "عبد الله شريط" مجال واسع في القضية من خلال كتاباته ، مؤكدا على أهمية اللغة العربية كمقوم وطني يبني شخصية الفرد الجزائري ، قائلا في ذلك "إن الحديث عن التعريب في الجزائر بعد الاستقلال هو حديث يتضمن إشكالية ثقافية ذات جذور تاريخية تتعلق بالتكوين السوسيولساني و الثقافي للمجتمع الجزائري ، و بالواقع الموضوعي الذي عاناه جراء الاستعمار و لغته الدخيلة " ، إذ اعتبرها قضية مفتعلة لخلق فجوة بين النخب المثقفة ، و أكيد سيتماد أثرها إلى الطبقة الشعبية كما يسميها "شريط" فإن لم يتم تقزيمها و تهوينها ستؤدي إلى خطر يمس هوية الفرد الجزائري ،

لذا فقد عدها فتنة فكرية بين النخب الجزائرية ، و يكون تضيق هذه الهوة يجعل هذا النقاش كنقاش الإخوة لا كنقاش الأعداء ، و هنا تحضر الموضوعية في الفكر الشريطي كشرط من شروط المنهج العلمي (شريط، نظرية حول سياسة التعليم و التعريب الأعمال الكاملة، 2009، صفحة 6).

4-التحديات التي تواجه التعريب :

إن فرنسا لتحافظ على وجودها الثقافي أكثر اعتمدت على المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات من خلال تخريج نخب متشبعة بثقافتها ، وحقا نجحت في ذلك فأصبح هذا التيار الفرونكفوني قوي النفوذ ، و ضمنت لهم أيدي في السلطة ليشدوا الوثاق بهم ، لأن هؤلاء سيتولون الدفاع عن مصالح فرنسا بطريقة معلنه أو بطريقة سرية ، المفرنسين أو الطبقة الفرونكفونية كانت لهم أيادي في السلطة أكثر من الفئة المعربة ، و قد انعكس هذا سلبا على المجتمع و أفقده توازنه ، ما خلق له صعوبة في الجمع بين مكتسبات الماضي ، و منجزات الحاضر ، فصرنا نعاني من فقر لغوي ، و افتقرنا إلى قدرة تمكننا من مواجهة التغيرات الحادثة و الطارئة ، و هذا لا يمكن أن يكون إلا من خلال اللغة ، و الأمر الذي فقم الأوضاع الراهنة في هذه الفترة فشل عملية التواصل بين القمة الثقافية السياسية ، و القاعدة الشعبية ، و هذا ما نجم عنه عدم التفاهم بينهما ، لوجود تباين في اللغة المستخدمة .

كما أضاف أيضا أن من بين الأسباب التي ساعدت على تسارع المد التغريبي هو اهتمام المعربين على الجانب الشكلي للغة العربية و النمطي ، و يقصد بذلك العناية بالجانب اللفظي الجمالي ، أي التنميق اللفظي دون الجانب المعرفي و الإيديولوجي ما جعلها بعيدة عن الواقع الاجتماعي ، هذا بدوره أدى إلى غياب الإيديولوجية اللغوية ، التي تسهم في تحقيق نسق لغوي للمجتمع ، و لن يتأت هذا إلا باحتواء اللغة العلمية ، و التسليح بالروح النقدية و التخلص من النقل ، لأن التطور الاقتصادي والزراعي و التجاري يكون سهلا و مرنا بوجود مستوى ثقافي و حضاري الذي تشكله اللغة .

و من المعوقات أن الجامعة الجزائرية ليست بالجامعة القومية ، بل هي جامعة أجنبية في قراراتها و موادها الدراسية ، كما أن الطلبة يعانون من عدم التوافق بين قدراتهم الذهنية التي تفرضها بيئتهم ومحيطهم الاجتماعي ، و البرامج التعليمية ، هذا ما أفضى بـ "عبد الله شريط" للتمييز بين نوعين من الطلبة ، الفئة الأولى هي فئة طلبت العلم فنالت بلغتها الأم أي اللغة العربية ، إلا أنها لم تحسن التصرف

فيه ، و لم يستفد مجتمعها من علمها ، بل اكتفت باستهلاك ما ورثته من علوم ومعارف عن الأجداد ، أما الفئة الثانية فقد طلبت العلم من غيرها فنالتة ، إلا أن الغير قد طبعه بطبعه ، و ألبسته حلتها ، و بذلك اكتفت بلغة الأجانب ، وفي المقابل أهملت لغتها الأصلية ، إلا أن الذي أكدده شريط أن كلا الفئتين لا ينتفع بعلمها ، و لا تسهم في النهوض بوعي الشعب و لا تعمل على إنمائه و تطويره ، والعلة في عدم الاستفادة من علم الأطر الجامعية والتي كما أشرنا سابقا أنه قسمها إلى فئتين علمها تنتفع به وحدها ، لأن المجتمع لا يمكنه أن يعيش بغير لغته ، كما أنه لا يمكن أن يحيا بلغة ترسبت و تجمدت قواعدها ، فهذا هو "عبد الله شريط" يشخص الداء ليصف الدواء (شريط، معركة المفاهيم، 1981، الصفحات 161-162) .

5-الحلول المقترحة لانجاح التعريب:

اقترح منهجا ينطلق من مسلمة أن اللغة العربية هي المقوم الأساسي ، و قسمه إلى جانب نظري ، و آخر عملي ، نتكلم أولا على الجانب النظري : و الذي يقوم على ضبط المفاهيم و التصورات التي تساعد في شحن الشعب ، و تحفيزه و تحييبه في التعريب ، من خلال تهيئة الجو العام لذلك نفسيا ، وجعل الأمر وطنيا (شريط، نظرية حول سياسة التعليم و التعريب الأعمال الكاملة، 2009، صفحة 18) ، فهو أراد أن يمس ربوع الوطن بجميع فئاته ، لأن من أفراد الشعب المترددين ، و المتخوفين والمعارضين لا لسبب لأجل المعارضة لا أكثر ، و لتفادي أي ثغرة تعثر أو تعرقل العملية ، لابد من غرس الحماس في نفوسهم وتهييج العواطف التعريبية ، من خلال عقد الملتقيات و الندوات ، و نشر المقالات في الصحف و المجلات ، دون توقف أو كلل أو ملل ، فالفرد هنا مهيا للمرحلة الثانية .

الآن ننتقل إلى الجانب التطبيقي (العملي) : و يتطلب تدخل أهل الاختصاص ، و هم المختصين في اللغة العربية من معلمين و أساتذة ، و خبراء في المجال ، و إن تطلب الأمر الاستعانة بمختصين من المشرق العربي فلا ضير في ذلك ، فأراد مفكرنا محاربة التغريب و الفرنسة بنفس سلاحها ، أي اعتماد التعليم كوسيلة لذلك ، و المسؤولية في هذا الشق تقع على عاتق المعلمين و قد يتساءل البعض ما المطلوب هنا ؟

المطلوب في هذا المقام الثورة على الأساليب القديمة ، و استبدالها بأساليب جديدة تناسب طلابنا في وقتنا الحالي ، و تلي احتياجاتهم المعرفية و الحياتية ، وهذا ما تجلى في قوله : "أريد أن أقول بدون تحرج لإخواني المعلمين و أساتذة العربية ، أنهم يجب أن يثوروا على أنفسهم أعني أن يراجعوا كل

الأساليب التي تعلموها العربية ، و أن لا يطبقونها في تعليم العربية لأبناء اليوم ، وهذه الثورة لا تكون إلا برفع المستوى الثقافي العام في العربية و التخلص من أساليب عصور الانحطاط " (شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، 1981، صفحة 10) ، لأن الجهود المبذولة من طرف وزارة التربية و التعليم ، و ما تسخره من إمكانيات و نفقات مادية غير كاف وغير فعال ، لأن عنصر الفاعلية يكون من طرف المعلمين ، لأنهم أهل التخصص ، و أكثر دراية بأسرار اللغة .

كما أضاف أيضا أن على المعلم أن يطلع على علوم غيره ، ليكتسب من معارفهم المختلفة ، وخبراتهم المتنوعة ، ما يسمح له من الاستفادة من ميادين علم النفس، و كذا التفتح على علوم التربية ، والتاريخ و كذا الأدب ، بالإضافة إلى علم الجمال ، فكلها تساعده على أداء مهمته التعريبية على أدق وجه ، وليتقنها عليه بتعلم اللغات الأجنبية فهي البوابة التي تطلعننا إلى ما توصل إليه غيرنا ، وفي المقابل هذا الأمر يساعدنا على تحقيق التوافق بين الكفاءات الجامعية و المختصين التربويين - المفرنسين- (شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، 1981، صفحة 10) .

كما دعا إلى التأسيس للغة عربية تتماشى و مقتضيات الواقع ، و هذا من خلال إعادة النظر في قواعدها و تطويرها ، ذلك لأن قواعدها التي يتلقاها طلبتها ، و يلقتها معلمونا هي عبارة عن حشو ، ومجردة بعيدة عن عقول مريديها ، فهي لا تشفي غليل فضولهم المعرفي ، كما أنه لم يهمل دور الكتابة أو الخط في بناء العقول ، لأن مشروع التعريب أراد من ورائه أن يبني العقول و يحقق للإنسان الجزائري توافقه مع ذاته ، فجمال الخط و رقيه يؤدي إلى رقي المجتمع ، و العكس بالعكس ، فانحطاط الكتابة والخط يؤدي إلى انحطاط المجتمع و بالضرورة تدهور ثقافته و علومه ، و هذا الأمر يرجع بالدرجة الأولى إلى التعليم ، وهذا ما عبر عنه بقوله : " من أهم العوامل الحضارية التي تؤثر في العقل صناعة الخط ، والخط أو الكتابة هي أبلغ وسائل التنمية العقلية ، وكلما كانت هذه المهمة رديئة كلما تأثرت الثقافة بهذه الرداءة " (شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع و السياسة و الثقافة، دون سنة طبع، صفحة 107)

خاتمة :

وعلى ضوء ما سبق ومن خلال تحليلنا لمسألة اللغة في فكر عبد الله شريط يمكن إجمال النتائج في عدة نقاط :

أن طرحه للمسألة اللغوية كرد فعل على التيار التغريبي حركته أصالة الثورة الجزائرية التي تستحق أن تتوج بأكاليل النضال والكفاح بالقلم منبعه شعوره القوي بالوطنية والعروبة .

ربط اللغة العربية بالهوية ، و اعتبرها أساس و قوام الثقافة ، ثم راح يوصف حال اللغة العربية أثناء الاستعمار ، وبعد الاستقلال لكشف العلل التي أدت إلى ركودها ، مقترحا الحلول الفعالة للنهوض بها، معتمدا على التعليم كسلاح ، وحدد جنوده ممثلين في الأساتذة و المعلمين ، و كفلهم المهمة الشاقة وهي محاربة الجهل ، و توعية الشعب من خلال الاهتمام بالنشء ، وتنميتهم بالعلم والمعرفة .

دعا إلى ضرورة تطوير التعليم و العناية باللغة الأم لأنها تمثل هويتنا و تحمل فكرنا و ثقافتنا ، واعتبرها لغة حية كغيرها من اللغات و ليست مجرد لغة شعر و أدب من خلال الاهتمام بالمصطلحات التي تدخلنا في الحضارة الحالية باعتماد ثورة مفاهيمية .

أراد تقليص الفجوة بين المعربين و المغربين من خلال دعوته إلى جعله كناقش الإخوة لا نقاش الأعداء لأننا وطننا واحد وهدفنا واحد ، ذلك لأن الصراع في نظره هو محرك الحياة ، ودافع لإيجاد حلول للمشاكل المطروحة ، و حذر من أن يمس كيان المجتمع الجزائري.

تبني فكرة "ابن خلدون" في اعتبار اللغة وسيلة لا غاية ، داعيا إلى تطوير قواعدها انطلاقا من النقد الذاتي و الثورة على الماضي ، ومراعاة مطالب الأطفال و الشباب من الجيل الجديد دون الانزواء على الذات و الانغلاق عليها ، و ضرورة الاحتكاك بالغير ، والاستفادة من علومه ، و خبراته ، من غير الذوبان والانحلال وسط الآخر .

لكن رغم ما بذله لتحقيق نهضة لبلده الجزائر إلا أن طرحه لا يخلو من عيوب ونقائص ، فدعوته لإحداث ثورة فكرية ثقافية من خلال اللغة ليس أمرا بهذه السهولة خاصة و أن السياسة هي التي

تتحكم بدواليب الأمور و كيفية سيرها ، فالتعريب كمشروع نهضوي ثقافي مس بعضا من الجوانب المؤسسية و الأكاديمية و نجده غائبا في المؤسسات الاقتصادية الكبرى ، خاصة في بعض الوثائق الرسمية كما أن زحف العولمة أثر فكريا و ثقافيا على الإنسان الجزائري ، و هذا لم يلق له بال ، فنحن كجزائريين لم نتمكن من التخلص من الآثار السلبية للغة الفرنسية حتى دخلت علينا الإنجليزية .

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن سيده. (2004). *المحكم والمحيط الأعظم في اللغة*. القاهرة: معهد المخطوطات العربية.
- بسام بركة. (نوفمبر، 2002). *اللغة العربية القيمة و الهوية*. مجلة *العربي* .
- سلامة موسى. (2012). *البلاغة العصرية و اللغة العربية*. مصر: مؤسسة الينداوي للتعليم و الثقافة.
- شارل ديغول. (دون سنة نشر). *مذكرات الأمل*. بيروت: منشورات عويدات.
- عبد الله شريط. (1973-1974). *مشكلة اللغة و المجتمع*. مجلة *الأصالة* .
- عبد الله شريط. (1981). *معركة المفاهيم*. (ط2، المحرر) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- عبد الله شريط. (1981). *من واقع الثقافة الجزائرية*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- عبد الله شريط. (دون سنة طبع). *نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع و السياسة و الثقافة*. الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب .
- عبد الله شريط. (2009). *نظرية حول سياسة التعليم و التعريب الأعمال الكاملة* (المجلد المجلد الثاني). الجزائر: منشورات السهل.
- فيصل الحفيان. (2015). *اللغة و الهوية إشكاليات المفاهيم و جدل العلاقات*. مجلة *التسامح* .
- لويس ألتوسير. (1986). *الفلسفة و فلسفة العلماء العفوية*. (رضا الزواري، المترجمون) تونس: دار البراق.
- مجمع اللغة العربية . (1990). *معجم ألفاظ القرآن الكريم* . القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- محمد الطيب العلوي. (دون سنة نشر). *التربية بين الأصالة و التغريب*. الجزائر : منشورات دحلب.
- محمد عابد الجابري. (1986). *الموسوعة الفلسفية العربية*. بيروت: معهد الإنماء العربي.
- مصطفى الأشرف. (1981). *مشكلات في التربية و التعليم*. مجلة *الثقافة* ، العدد 41/